الموضوع: الدعاء سلاح المؤمن

المناسبة: خطبتي صلاة الجمعة

الزمان والمكان: 17/رمضان/ 1415هـ ـ ق ـ طهران

الحضور: جمع من المصلين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين أحمده وأستعينه وأتوب إليه وأُصلّي وأُسلِّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه وحافظ سرّه ومبلّغ رسالاته، بشير رحمته ونذير نقمته سيِّدنا ونبيّنا وحبيب قلوبنا وشفيع ذنوبنا أبي القاسم محمد9 وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين المطهّرين المكرّمين، سيّما بقيّة الله في الأرضين.

قال الله الحكيم في كتابه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1] .

أوصيكم أيّها الأخوة والأخوات المصلّين ونفسي بتقوى الله واستحضار عظمة الباري تعالى، وأن نعيش وجوده في كلّ مكان وزمان "ربّ غفور ودود بصير عليم" حتّى فيما يخطر على البال، وما يرد على القلب، وفيما نتصوّره عن الآخرين والأحكام الّتي نصدرها تجاههم، فضلاً عن أعمالنا ومواقفنا ومشاعرنا.

يجب أن نستذكر أنّه تعالى حاضر في كلّ هذه المواطن وأن نستشعر ذلك ولا نغفل عنه وهذه هي التقوى.

هذا الشهر هو شهر التقوى وقد انقضى نصفه, في هذا الشهر الكريم نوّر الله تعالى أفئدة بعض النّاس، وغفر لآخرين وتفضّل على كثيرين, ولا ندري هل نحن من هؤلاء المرحومين أم لا؟ إذا لم نكن منهم، فلنتدارك الفرصة، ونحن نستقبل أفضل مواسم الدعاء والتضرّع والخشوع والابتهال وهي ليالي القدر.

ومنذ أوّل الشهر المبارك لهذه السنة كنت أعيش نوعاً من القلق بخصوص ليالي القدر، بسبب عدم ثبوت كون يوم الأربعاء هو أوّل أيّام شهر رمضان حسب التوقيت

---

[1] سورة البقرة، الآية: 186.

الرسمي وما جاء في المفكّرة, فلم يشهد أحد برؤية الهلال ليلة الأربعاء، ولم يثبت ذلك؛ لذلك كنت قلقاً وخشيت أن تفوت الشعب الإيراني وتفوتنا نحن أيضاً ليلة القدر.

وكان الأخوة في المكتب منذ أوّل الشهر يبحثون عمّا إن كان هناك من رأى الهلال ليلة الأربعاء أو ليلة الخميس، وبحمد الله فقد منّ الله علينا اللّيلة البارحة، وثبت بفضل الله أنّ الأربعاء هو أوّل شهر رمضان.

وبناءً على ذلك يكون اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك واللّيلة هي ليلة الثامن عشر، وغداً تكون ليلة التاسع عشر أوّل ليالي القدر.

آمل أن يستغلّ الشعب الإيراني هذه اللّيالي والساعات الفضيلة على أتمّ وجه.

كنت متردّداً اليوم بين أن أتحدّث عن الإمام أمير المؤمنين حيث نعيش هذه الأيّام ذكراه، وبين الحديث عن الدعاء، فرأيت أنّ الإمام أمير المؤمنين(عليهم السلام) إنّما استشهد في سبيل "التضرّع" و"الخشوع" و"القرب من الله"، وأرجو أن يكون الشعب الإيراني قد سمع الكثير عن الإمام سلام الله عليه في هذه الأيّام.

أمّا ما يتعلّق بالدعاء فلابدّ من بحث مستقل وواف، ومن الضروري أن تخصّص خطبة للدعاء خلال هذه المدّة؛ ولذلك سأشير في الخطبة الأولى إلى أمهات المسائل المتعلّقة بالدعاء.

لا يخفى أنّ للدعاء ثلاث فوائد، وكلّ الأدعية سواء الأدعية المأثورة عن المعصومين، أو غيرها من الأدعية الّتي يطلب فيها الإنسان قضاء حاجته من الله تبارك وتعالى، لا تخلو من فائدتين أبداً، وهناك من الأدعية ما تتوفّر على الفوائد الثلاث مجتمعة.

من هذه الفوائد، الأولى: الغرض من الدعاء: وهو الطلب من الله تعالى، فلدينا حاجات كثيرة، بل إنّ كياننا برمّته محتاج وفقير ولو أمعنّا النظر في وجودنا لرأينا أنّ وجودنا كلّه فقير، من أعلى رأسنا إلى أخمص قدمينا، بدءاً بالتنفّس والأكل، المشي، الإستماع والنظر، وإلى غير ذلك ممّا نحتاج إليه.

لقد أودع الله تعالى فينا مجموعة من القوى والإمكانيات لنستطيع من خلالها أن نعيش، وجميع هذه القوى والإمكانات تحت إرادة الله ومشيئته.

فإذا اختلت إحدى هذه القوى، فسيواجه الإنسان مشكلة أساسيّة في حياته.

مثلاً لو توقّف وعاء دموي في جسم الإنسان عن العمل، أو اختل عمل مجموعة خلايا عصبيّة، أو عضلة من العضلات، أو غيرها من المشاكل الّتي تطرأ على الإنسان من الخارج، أو المشاكل الروحيّة أو الاجتماعيّة, إذن الإنسان وجود محتاج وفقير.

فممّن نسأل وممّن نطلب لسدّ حوائجنا هذه ورفع المشاكل الّتي تواجهنا؟

نطلب كلّ ذلك من الله المتعال الّذي يعلم حاجاتنا ﴿وَاسْأَلُوا اللّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3] .

بقي أن نقول إنّ الاستجابة لا تعني قضاء الحاجة، فهناك شروط كثيرة بالإضافة إلى الحاجة الّتي طلبها الإنسان، كلّها تدخل ضمن الاستجابة.

إذاً النقطة الأولى هي: أنّ للإنسان احتياجاته ولقضاء هذه الاحتياجات لابدّ من الدعاء والطلب من الله، وقرع بابه؛ ليستغني الإنسان من التضرّع إلى الآخَرين.

ولما كان اليوم هو يوم الجمعة، وجب أن نتعرّف فيه على كلمات وأحاديث النبي الأكرم9 والأئمةΓ ، ولذلك أقرأ لكم عدّة أحاديث موجزة في هذا المجال؛ الحديث الأوّل: (أفضل العبادة الدعاء) [4]، والحديث الآخر للنبي جاء فيه: (ألا أدلّكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرّ أرزاقكم، قالوا بلى يا رسول الله قال تدعون ربّكم باللّيل والنهار فإن سلاح المؤمن الدعاء) [5]، إذن لقضاء الحاجات لابدّ من التسلّح بسلاح الدعاء، كما أنّه لابدّ من التسلّح به لمواجهة الأعداء والحوادث والابتلاءات.

وهناك رواية أُخرى عن الإمام السجّادB يقول: (الدعاء يدفع البلاء النازل وما لم ينزل) [6]. وهذه مسألة مهمّة جدّاً، وهي أنّ الله تعالى أعطى الإنسان سبباً يمكن من خلاله أن يقضي جميع حاجاته ويحصل على كلّ ما يريد؛ إلاّ في الموارد المستثناة والّتي سأشير إليها بعد قليل.

في رواية عن أمير المؤمنين(عليهم السلام) أنّه قال: (ثمّ اجعل في يدك مفاتيح خزائنه بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه) [7]، وهذا أمر عظيم ومهمّ جدّاً، فلماذا يحرم الإنسان نفسه من هذا السبب الّذي هو في غاية الأهمّية والخطورة؟

وهنا تواجهنا عدّة أسئلة، منها: إذا كان للدعاء مثل هذا الدور الإعجازي، فما الّذي يعنيه وجود هذه الأسباب المادّية والوسائل والأدوات والعلم والصناعة؟

الجواب: هو أنّ الدعاء ليس من قبيل الأدوات والأسباب المادّية، ولا من سنخها.

---

[2] سورة النساء، الآية: 32.

[3] سورة غافر، الآية: 60.

[4] بحار الأنوار: ج90، ص302.

[5] بحار الأنوار: ج90، ص291.

[6] الكافي، الشيخ الكليني: ج2، ص469.

[7] بحار الأنوار، ج74، ص204.

ولا يعني أنّ الإنسان إذا رغب في السفر مثلاً فعليه أن يـذهب إمّـا بالقطـار أو بالطائرة أو بالدعاء، ولا يعني أنّه إذا أراد أن يحصل على شيء فإمّا أن يحصل عليـه إزاء مبلغ من المال أو بالدعاء.

ليس هذا ولا ذاك، الدعاء معناه أن يطلب الإنسان من ربّه أن يوفّر له هذه الأسباب المادّية وتحقق هذه الأسباب مرهون بالدعاء، ومدى الإرتباط الروحي والانشداد القلبي الذي يحصل للعبد حال الدعاء هذا هو المعنى المقصود من الدعاء.

فمثلاً قد يكون هناك شخص مدين لك بمبلغ من المال، لكنّه يأبى أن يسدّد لك هـذا الدَين، وفي ليلة وضحاها يُلقى في روعه أن يأتي ويدفع لك أموالك، إذاً هناك سبب أدّى بهذا الإنسان أن يغيّر موقفه، وما المانع من أن يكون السبب في ذلك هو الدعاء، أي أنّ الدعاء هو الّذي جعله يدفع لك أموالك.

وكلّ الأسباب والعلل الموجودة في العالم هي من هذا النوع.

إذن ينبغي أن لا يكون الدعاء ذريعة ومدعاة للكسل، أو أن يهمـل الإنسـان العلـم والأسباب المادّية وقانون العلّية، فالدعاء ليس في عرض هذه الأمور وإنّما هـو فـي طولها.

وغالباً ما تكون مهمة الدعاء هي توفير كلّ هذه الأمور.

وأمّا بالنسبة للمعجزة والّتي قد تحدث في بعض المرّات، فلها موضوعها المسـتقل، وهو من موارد الاستثناء، وفي غير موارد الاستثناء فإن مهمة الدعاء كما أشرنا هـي تهيئة وإعداد الأسباب والمستلزمات الّتي لابدّ من وجودها في الحالات الاعتيادية, فعندما يطلب أحدكم من الله أن يتمّ العمل الفلاني مثلاً، والّذي أنتم بحاجة إليه، فلابدّ وأن تكونوا قد استنفذتم قواكم لتحقيقه إلى جانب الدعاء, وإذا أحسستم بالكسل فعليكم أن تـدعو الله تعالى أن يطرد عنكم هذا الكسل، ولكي يطرد عنكم الكسل لابدّ لكم مـن إرادة وعـزم وإصرار على تركه.

إذاً هنا يوجد سبب طبيعي و آخر مادّي وهو العزم والإرادة، ولا يتصوّر أحدكم أنّ الله تبارك وتعالى سوف يقضي حاجاتنا بمجرّد أن نجلس في بيوتنا وندعوه تعالى مـن دون أن نحرّك ساكناً أو نقوم بشيء أو نصمّم على القيام بشيء، فهذا لا يمكن أن يكون أبداً, إذاً الدعاء يجب أن يكون إلى جانب العمل ومع العمل.

ومن هنا نجد أنّ كثيراً من الأعمال لا تكلّل بالنجاح، من دون الدعاء، فإذا ما دعـا الإنسان تكلّلت جهوده بالنجاح ووفّق لما كان يطمح إليه.

هذه نقطة، والنقطة الأُخرى هي أنّه في بعض الأحيان قد لا يستجاب الدعاء مهما دعا الإنسان، فما هو السبب؟ وقد أجابت الروايات على هذا السؤال، بأنّ للدعاء شروط، ولابدّ من توفّر هذه الشروط في الدعاء.

من هذه الشروط الّتي وردت على لسان الأئمةΓ هي: أن لا تسألوا الله أمورا مستحيلة التحقّق.

فقد ورد في الرواية أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله) سمع رجلاً يدعو قائلاً: (أللهمّ لا تحوجني إلى أحد من خلقك) فقال له رسول الله(صلى الله عليه وآله) : "لا تقولنّ هكذا، فليس من أحد إلاّ وهو محتاج إلى الناس" فسأل الرجل رسول الله9 : فبمَ أدعو يا رسول الله، فقال الرسول(صلى الله عليه وآله): قل أللهمّ لا تحوجني إلى شرار خلقك" هذا ما ينبغي أن تدعو به, وأمّا الدعاء بالأمور المستحيلة فلا يستجاب لمخالفته للسنن الحاكمة على العالم.

ومن شروط استجابة الدعاء، هو أن ندعو بحضور قلب وبتوجّه، وأمّا لقلقة اللّسان والدعاء بقلب لاه، كأن يقول إلهي إرحمني، إلهي وسّع عليّ في الرزق، إلهي أدِّ ديني، إلهي أعطني الشيء الفلاني، فلو بقي عشر سنوات يدعو بهذا النحو من الدعاء لن يستجاب له ولن يجني فائدة من ورائه.

ومن شروط الدعاء قول المعصوم(عليهم السلام): (اعلموا إنّ الله لا يقبل دعاء عن قلب غافل) [8]. ومن هنا لابدّ من أن تتضرّعوا وأن تلجّوا بالدعاء وبالتضرّع وأن تطلبوا وتطلبوا منه تعالى، وبلا أدنى ريب سيستجيب الله هذا الدعاء.

الفائدة الثانية هي الهدف من الدعاء، وهو قضاء الحاجات, لا تستعظموا أيّ حاجة، ولا تقولوا إنّ هذه الحاجة، أو هذا الأمر لا يمكن أن نطلبه من الله تعالى, بل أنّ كلّ شيء إذا لم يكن في تضاد مع السنن الحاكمة في العالم يمكن أن تطلبوه من الله تعالى مهما كان كبيراً.

ففي شهر رمضان عادة ما يُدعى بهذا الدعاء بعد كلّ صلاة وهو (اللهمّ أدخل على أهل القبور السرور، أللهمّ أغن كل فقير) [9] هنا لم يقل أغن فقراء إيران أو فقراء الإسلام. وهذا ليس بالأمر المستحيل؛ لأنّ الفقر ليس أمراً ملازماً بالضرورة للمجتمعات

---

[8] ميزان الحكمة، محمدي ريشهري ج2: 19.

[9] بحار الأنوار ج95: 120. باب 6 الأعمال وأدعية مطلق ليالي شهر رمضان وأيامه.

البشريّة، بل هو أمر مفروض على هذه المجتمعات, فإذا أمكن القضاء على العوامل المؤدّية للفقر كان من الممكن القضاء على الفقر نفسه.

وتقرؤون في الدعاء أيضاً "اللهمّ اشبع كلّ جائع اللهم اكس كلّ عريان". في هذا الدعاء نجد أنّ الإنسان يطلب من الله تعالى هذا الطلب العام والشامل, كما تقرؤون في الدعاء الخاص بسحر ليلة الجمعة وهو من الأدعية المستحبّة والرائعة والقصيرة والّتي أوصي بقراءتها، تقرؤون (إلهي طموح الآمال قد خابت إلاّ لديك وعواكف الهمم قد تعطّلت إلاّ عليك". نعم يا إلهي قوافل الحاجات لا تقضى إلاّ إذا أناخت ببابك, الله سبحانه وتعالى لا يخاف من حاجات الإنسان مهما كانت كبيرة وعظيمة، فاسألوا الله تعالى عظائم الأمور, وحذار من أن يتصوّر أحدكم أنّ هذا الشيء الّذي أريده لو طلبته لنفسي فإن الاستجابة ممكنة، ولكن لو طلبت العافية مثلاً لجميع الناس فهذا شيء عظيم كيف يمكن أن أطلب من الله مثل هذا الطلب.

أقول: اطلبوا ذلك للناس كافّة, وهناك من الأمور الّتي ينبغي أن نسألها الله، كما في الدعاء (اللهم اصلح كلّ فاسد من أمور المسلمين) [10] فهنا الدعاء خاص لأهل الإسلام، والسبب في اقتصاره على المسلمين لأنّه لا يمكن أن يصلح الله تعالى جميع ما فسد من الأمور من دون أن يكون الإسلام هو الحاكم، إذ أنّ شرط الإصلاح هو الإسلام.

ولا تتردّدوا في أن تطلبوا من الله الحوائج الصغيرة والحقيرة, فقد ورد في الروايات: أن اسأل الله حتّى في شسع النعل.

وفي رواية عن الإمام الباقر(عليه السلام): (لا تحقروا صغيراً من حوائجكم فإن أحبّ المؤمنين إلى الله أسألهم) [11]. فالإنسان يحتاج حتّى إلى شسع النعل وللحصول عليه لابدّ من الدعاء.

إذاً كلّ شيء مهما كان صغيراً إذا احتجتم إليه، يجب أن تتوجّهوا بقلوبكم إلى الله وتدعوه أن يوفّقكم للحصول عليه، وإن كان المال متوفّر لديكم ذلك لأنّ الله هو الّذي يعطي هذا الشيء لكم ومن دون الله لا يمكنكم أن تحصلوا على أيّ شيء.

والسؤال المطروح هنا هو لماذا ينبغي لنا أن نسأل الله تعالى الحاجات الصغيرة؟ الجواب: لكي نتنبّه إلى احتياجاتنا وعجزنا وفقرنا وحقارتنا, فلو أنّ الله تعالى لم يرزقنا القدرة والفكر والإبداع، ولم يوفّر لنا الأسباب فلن نستطيع الحصول على أيّ شيء حتّى

---

[10] المصدر السابق.

[11] بحار الأنوار ج90: 346. باب 21 الأوقات و الحالات التي يرجى فيها الإجابة.

شسع النعل, فمن الممكن أن تذهبوا لتشتروا ما ترغبون وفي الطريق تُسرق أموالكم أو تفتقد، تصادفكم حادثة في الطريق، وبالتالي ترجعون دون أن تشتروا شيئاً.

اسألوا الله تعالى أقلّ الأشياء وأحقرها حتّى شسع النعل، وقوت اليوم، وحطّموا هذه "الأنا" ذات العظمة الكاذبة المتضخّمة في صدورنا، لنحطّم هذه النفس الّتي نتصوّر أنّها مصدر كلّ القوى. لقد كانت هذه "الأنا" سبباً في شقاء وتعاسة الكثير من الناس.

هذا تمام الكلام فيما يتعلّق بالمحور الأوّل من حديثنا والّذي قلنا فيه أنّ بإمكان الإنسان الحصول على ما يريده بواسطة الدعاء.

والآن لينظر كلّ واحد منكم إلى ما يحتاجه هو وما يحتاجه المسلمون، وإخوته المؤمنون والمرضى والمعوّقين وما يحتاجه البلد.

أنظروا إلى ذوي القلوب الحرّى، إلى النّاس الّذين يعيشون حواليكم في دولتكم الإسلاميّة وفي العالم الإسلامي وفي الكرة الأرضيّة، فيدعو لجميع هؤلاء في ليالي القدر.

المحور الثاني الّذي أودّ التحدّث عنه، هو ما يتضمّنه الدعاء من مفاهيم ومعان، وهذا يختصّ بالأدعيّة الواردة عن الأئمّة المعصومينΓ, ومنها ما جاء في الصحيفة السجّادية، حيث أودع فيها الإمام السجاد الكثير من المعارف الإلهيّة والمفاهيم الإسلامية بصيغة الدعاء, فالتوحيد الخالص إنّما تجدوه في الصحيفة السجاديّة، كما أنّ فيها معان سامية في النبوّة والحبّ والذوبان في شخص ومنزلة نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله, وفيها أيضاً من المعارف ما يخصّ عالم الخلقة كما هو موجود في سائر الأدعيّة المأثورة الأخرى من قبيل دعاء أبي حمزة الثمالي الّذي تقرؤونه في الأسحار, وما أرجوه منكم هو أن تقرؤوا هذا الدعاء وتتدبّروا فيه.

ودعاء كميل الّذي يُقرأ ليالي شهر رمضان هو الآخر مليء بالمفاهيم والمعارف الإسلاميّة والحقائق الّتي صيغت بلسان الدعاء.

وهذا لا يعني أنّ الإمام(عليه السلام) لم يكن هدفه الدعاء وأنّهB أراد أن يغطّي على حديثه بالدعاء، لا، بل كان(عليه السلام) في مقام الدعاء، وكان يناجي به، وكلّ ما في الأمر أنّ الإنسان الّذي ينفتح قلبه على الله وعلى المعارف الإلهيّة، يكون حديثه متضمّناً لهذه المعاني، ودعاؤه أيضاً يكون طافحاً بالحكمة, ومن هنا نجد في الأدعية المأثورة عن أئمّتنا(عليه السلام) الكثير من المعارف الّتي يحتاجها الإنسان حقيقة. ومن خلال الدعاء يعلّمنا الأئمة ماذا نطلب من الله تعالى, ومن هنا أحاول أن أشير إلى عدّة فقرات

من دعاء أبي حمزة الثمالي هذا الدعاء الشريف الّذي يتضمّن جانباً رائعاً من المناجـــاة وسأستعرض مقتطفات من المقطع الثالث لهذا الدعاء.

في مناجاته هذه يسأل الإمام(عليه السلام) الله تعالى جملة أمور منها أن يجعل حياته هنيئة طيّبة فيقول: "ارغد عيشي". وكما تعلمون فإن العيش الرغيد لا يأتي بالمـــال ولا بالسلطة ولا بالذهب.

فقد يكون هناك من الناس من له ثراء واسع لكنّه يفتقد إلى الحياة الرغيدة نظراً لما يعانيه من قلق واضطراب ناشئ من مشكلة عائليّة، كأن يكون له ولد ســـيء الخلـــق – نستجير بالله – يجعل من حياته جحيماً لا يطاق.

قد يتناهى إلى سمع الإنسان نبأ سيئ يجعل حياته مرّة المذاق، فنجد هذا الإنسان مع ما يمتلك من إمكانات ومقدرات لكنّه يفتقر إلى الحياة الهانئة, وفي المقابل نجد شخصـــاً آخر فقيراً يعيش حياة بسيطة جدّاً، ولكن قد تكون حياته على بســـاطتها أكثـــر هنـــاءاً وسعادةً من حياة ذلك الشخص الثري صاحب الجاه العريض.

اُنظروا الإمام(عليه السلام) كيف يشخص النقطة الأساس في المسألة حيث يقـــول: (وأرغد عيشي وأظهر مروءتي) [12] أي وفّقني أن اُظهر مروءتي في ساحة العمل، لا أن يكون الهدف هو أن يراني الناس صاحب مروءة.

وإذا أردنا للمروءة أن تظهر بيننا وتنتشر، فيجب أن نجسّـــدها نحـــن أوّلاً, ينبغـــي للإنسان أن يجسّد المروءة على الصعيد العملي ولا يكفي أن يحملها في داخلـــه، وهـــذا معنى قوله: "واظهر مروءتي واصلح جميع أحوالي".

ثمّ يسأل الإمامB الله تعالى أن يصلح له جميع أحواله؛ إنّه دعاء كامل وجامع يشمل الأحوال العائليّة والشخصيّة وجميع الخصائص الأخرى. "واجعلني ممّن أطلت عمـــره وحسّنت عمله وأتممت عليه نعمتك ورضيت عنه وأحييته حياة طيبة".

هكذا يعلّمنا الأئمة ماذا نسأل من الله تعالى.

البعض يطلب الوفرة، ويدعو أن تتمّ هذه الصفقة، أو أن يسافر إلى المكان الفلاني، أو أن يحصل على هذا العمل أو ذاك, وأمّا الأئمة فيعلمونا كيف نسأل مـــن الله ومـــاذا نسأل.

وبالطبع فطبيعة الدعاء ونوع الطلبات الّتي يجب أن نطلبها من الله والّتـــي يحـــاول الأئمة أن يربّونا عليها يشكّل بحثاً مستقلاً وموسّعاً في حدّ نفسه, وهناك نقطة أخرى نود

---

[12] بحار الأنوار ج95: 91. باب 6 الأعمال وأدعية مطلق ليالي شهر رمضان وأيامه.

الإشارة إليها وهي أنّ هذه الأدعية تبيّن لنا مواطن الضعف في الإنسان والّتي قد تؤدّي به إلى السقوط في الهاوية, وهذا ما نجده في دعاء أبي حمزة الثمالي: (اللهمّ خصّني منك بخاصّة ذكرك ولا تجعل شيئاً ممّا أتقرّب إليك في آناء اللّيل وأطراف النهار رياءً ولا سمعةً ولا أشراً ولا بطراً) [13].

إذاً يجب أن لا يكون العمل مصحوباً بالغرور والرياء والّتي تشكل مواطن الضعف، فقد يقوم الإنسان بعمل صالح ورائع لكن بمجرّد أن يخالطه شيء من الغرور والسمعة، يصبح ذلك العمل هباءاً منثوراً, ومن هنا سعى الأئمة ومن خلال الدعاء أن ينبّهونا ويحذّرونا من هذه المطبّات.

والنقطة الأخرى في هذه الأدعية تتضمّن معارف ومفاهيم كثيرة, ففي دعاء كميل نقرأ: "أللهمّ اغفر لي الذنوب الّتي تهتك العصم، أللهمّ اغفر لي الذنوب الّتي تنزل النقم، أللهم اغفر لي الذنوب الّتي تغيّر النعم، أللهم اغفر لي الذنوب الّتي تحبس الدعاء"، أي أنّ هناك من الذنوب ما تهتك العصم، وقسم منها تكون سبباً في نزول النقم، ومنها ما تغيّر النعم، ومن الذنوب ما تحبس الدعاء فترى الإنسان بعد أن يرتكب هذه الذنوب يدعو فلا يستجاب له ولا يجني أيّ فائدة من دعائه هذا.

إنّ الدعاء يفقد روحه وأثره عندما تسلب من الإنسان حالة التوجّه والانفتاح على الدعاء.

وهنا أنقل لكم مقولة لأحد العظماء جاء فيها "أن أُسلب الدعاء أخوف من أن أُسلب الإجابة".

ففي بعض المرّات قد يسلب الإنسان حالة الإقبال والتوجّه إلى الدعاء، ويفقد الرغبة والنشاط في مواسم الدعاء، وهذا أمر خطر جداً إذ قد يؤدي بالإنسان إلى الإعراض عن ذكر الله، ولكن من الممكن تلافي هذه الحالة وذلك بالتوسّل إلى الله والإلحاح عليه بأن يرزقه حالة الإقبال والإنابة والنشاط في الدعاء,كلّ هذه المعاني نجدها في دعاء كميل.

الفائدة الثالثة والأخيرة في الدعاء والّتي تشكّل الموضوع الأساس والأهم بالنسبة للنقطتين اللّتين أشرنا إليهما توّاً، هي: إظهار الخشوع والتذلّل أمام الله عز وجل وهذا هو أس الدعاء وركيزته الأولى.

---

[13] المصدر السابق.

ومن هنا جاء في الحديث الشريف عن الرسول9 (الدعاء مخّ العبادة) [14]. فالدعاء يعبّر عن حالة الاندكاك المطلق في الله تعالى والخشوع في ساحة الذات المقدسة وهذا هو أصل العبادة وأساسها. والآية الكريمة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ﴾[15] تبيّن هذا المعنى وهو أنّ الهدف الأوّل من الدعاء هو ترويض النفس الإنسانيّة وإخضاعها للرقابة الإلهيّة وتذليلها لله.

أعزائي لو ألقيتم نظرة إلى البيئة الّتي تعيشون فيها وإلى بلدكم وإلى العالم كلّه، فإن ما ترونه من فساد وشرّ إنّما هو ناشئ من أنانية واستكبار وغرور النفس الإنسانية، وهدف الدعاء التغلّب على كلّ هذه المسائل.

في أحد البحوث القرآنية الّتي أعددتها في وقت سابق أشرت إلى أنّ القرآن الكريم قد تحدّث عن تجربة موسى في موارد كثيرة.

فقصّة النبي موسى(عليه السلام) من القصص المعبّرة والعجيبة والحديث عنها يبقى معبِّراً ومجدياً ولا يستنفذ أغراضه مهما طال وتشعّب.

في هذه القصة توجد عدّة شخصيات من أصحاب النبي موسى(عليه السلام) قد ارتدت وانحرفت، منها: السامري وقارون وغيرهم من الّذين امتنعوا عن الذهاب إلى الأرض المقدّسة, هؤلاء كانوا مصاديق بارزة للارتداد والجبن، وقد تحدّثت في وقت سابق عن ظاهرة الارتداد هذه.

وتعتبر قضية قارون من أكبر القضايا المريرة في حياة النبي موسى(عليه السلام) لقد كان قارون من أقرباء موسى(عليه السلام) وكان إسرائيليّاً مؤمناً مريداً للنبي موسى(عليه السلام) أوّلاً، ثمّ صار مبغوضاً، خبيثاً، حلّت عليه اللّعنة الإلهيّة ثانياً.

وقد خصّه القرآن الكريم بآيات عديدة، وهذا يبيّن مدى خبث وسوء سريرة هذا الرجل.

مشكلة قارون أن ردّ على نصيحة النبي موسى(عليه السلام) (إنّما واتيته على علم) [16] أي بذكاءي وبتدبيري، ولكن هنا أقول: ألم يكن الله سبحانه وتعالى هو الّذي رزقه المال، كما يرزق الإنسان الحياة والبنين، كم كان جاهلاً هذا الإنسان؟ لماذا يعصي ويخطأ ويُعجب بنفسه ويكثر من ترديد "أنا وأنا".

---

[14] وسائل الشيعة ج7: 27. باب 2 استحباب الإكثار من الدعاء.

[15] سورة غافر،الآية: 60.

[16] القصص: 78.

ما هي الـ(الأنا)؟ وما قدرها؟ يقول الله تعالى في حديثه عن المجاهدين الّذين تصدّوا للأعداء وأوقعوا فيهم الهزيمة: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) [17] أي أنّ ما تملكه من قوّة وإرادة ودقّة في إصابة العدو كلّها من عند الله، وبعبارة أخرى كلّ ما عندك فهو من الله، ومع هذا كلّه أتطاول على هذه القوّة المالكة المدبّرة المحيطة، أتطاول على الله الّذي في قبضته كلّ شيء وأقول(أنا).

هذه هي النقطة الأساس في فساد البشريّة، وهي مذمومة وباعثة على الفساد أينما وجدت.

فذاك الصهيوني الّذي يترأس إحدى الشركات المتعدّدة الجنسيات ويقول (أنا وأنا) ويتصوّر أنّه يدير العالم برمته، أو هتلر ذاك الإنسان الّذي أشعل فتيل الحرب، أو أحد رؤساء أمريكا الطغاة، أو أحد قطاعي الطرق، أو ذاك الشخص الّذي يتلبّس بلباس الدين، ويدعو في الحقيقة لنفسه، أو أنا وأنتم الّذين لا ننتمي إلى أيّ من الطوائف الّتي ذكرناها في حال اتّباعنا للهوى وتحكيمنا (الأنا) واستكبارنا، في كلّ هذه الموارد تكون المحصّلة النهائيّة، مزيداً من الفساد والانحراف.

وبالطبع كلّما كبر الإنسان، تكبر (الأنا) فيه، ومهمة الدعاء هي أن يهزم (الأنا)، ولذلك جاء في الروايات أسأل الله الأمور الصغيرة لتنتبه إلى عجزك وفقرك.

فقد يحدث أن تكون هناك ذبابة أو بعوضة تضرّ بالإنسان، بحيث تعيقه عن العمل تماماً.

إنّ الهدف من الدعاء هو التضرّع إلى الله وطلب الحاجة منه والتواضع إليه والابتعاد عن الاستكبار والاستعلاء، قال تعالى في محكم آياته: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضرّاءِ لَعَلّهُمْ يَتَضَرّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيّنَ لَهُمُ الشّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [18]وهذا التضرّع الّذي يُحدثه الله تعالى في نفوسنا جراء المصائب والابتلاءات هو لأجلنا نحن؛ وإلاّ فهو غني عنه ولا حاجة له به.

[وهنا تمثّل سماحة القائد ببيتين من الشعر الفارسي إليكم ترجمتها:

إنّك يا إلهي إنّما تجعل العبد في الظلام، ليرى ذلك الوجه المشرق

تضرب بالفأس على عروقي وجسمي، لتعرّفني عطفك ورحمتك].

---

[17] الأنفال: 17.

[18] الأنعام: 43.

حالة التضرّع تملأ القلب حبّاً لله وتعرف الإنسان بربّـــه، وتردعـــه عـــن العُجـــب والغرور والفساد، وتملأ وجوده بنور الذات المقدسة وتحيطه باللّطف والعناية الإلهيّـــة. عليكم أن تعرفوا أنّ للخضوع شأن ومنزلة لا يدانيه فيها شيء آخر.

في ختام الخطبة، سأدعو وأمّنوا أنتم، عسى أن تستجاب هذه الأدعية علـــى ضـــوء الشروط الّتي لابدّ من توفّرها في الاستجابة.

نسألك اللهمّ وندعوك باسمك العظيم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم وبالقرآن المستحكم وبوليك وحجّتك يا الله يا الله يا الله.

إلهنا إنّ أكبر حاجاتنا هي رضاك ومغفرتك, وهذه بالنسبة لنا أعظم من كلّ شـــيء، نقسم عليك بأعزّ أوليائك أن تجعلنا في هذا الشهر المبارك ممـــن حظيـــتهم برحمتـــك ورضوانك ومغفرتك, إلهنا وفّر حظّنا في الإستزادة من شهر الصيام بما فيه الكفاية.

إلهنا لقد تركت الأخلاق السيّئة والخصائص والظروف السيّئة بقعاً سوداء مظلمة في قلوبنا ونفوسنا، فنسألك ونقسم عليك بنبيك الأكرم(صلى الله عليه وآله) الّذي جاء نعتـــه في الدعاء المأثور بعد زيارة آل ياسين بأنّه هو كلمة النور، نسألك بأفضل أنوار قدرتك وإرادتك ألاّ وهو الوجود المقدّس لخاتم الأنبياء(صلى الله عليه وآله) أن تنـــوّر قلوبنـــا بأنوار معرفتك وحجّتك، اللهم طهّر قلوبنا من الظلمات ومن الضلال، إلهنا نقسم عليـــك إلاّ ما رزقتنا دولة كريمة بقيادة المهدي المنتظر (عج). إلهنا نقسم عليـــك بأوليائـــك أن تقوّي علاقتنا بالقرآن وبالدين وبالذكر والدعاء والمناجاة والاســـتغاثة والتوســـل أكثـــر فأكثر.

إلهنا نقسم عليك بالقرآن أن تحوط هذه الدولة الإسلامية المباركة، والّتي أصـــبحت مركزاً لانبعاث القرآن مرّة ثانية، برحمتك وبركاتك.

اللهمّ انصر الشعب الإيراني، اللهمّ أعزّ الشعب الإيراني.

اللهمّ انتقم من أعداء الشعب الإيراني أينما كانوا، اللهمّ اجعل قلوب أبنـــاء الشـــعب الإيراني محلاً لنزول ألطافك وعنايتك.

اللهمّ نُقسم عليك بحقّ أوليائك اجعل وضاعف محبّة أوصيائك في قلوبنا.

اللهمّ إنّك تعلم أنّ هناك من يكيد ويخطّط للنيل من هذا الشعب ومن هـــذه الدولـــة ويتآمر على دولة القرآن، وأنت تعلم بهم أكثر منّـــا، اللهـــمّ بقـــدرتك القـــاهرة احـــبط مخطّطاتهم.

اللهمّ اجعل بأس أعدائنا بينهم واشغل بعضهم ببعض، اللهمّ أعداء البشريّة المتمثّلين بالقوى الكبرى وبعض رؤساء الدول، الّذين يتنكّرون للحقائق والفضائل ويشجّعون على الرذائل، اللهم اشغلهم بمشاكلهم الداخلية أكثر فأكثر.

اللهمّ اقهر أعداء هذا الشعب، وازرع في قلوبهم اليأس والقنوط، اللهمّ اجعل صوت الحقّ الّذي ينادي به هذا الشعب يدوي في آفاق العالم على الرغم من كلّ الضجيج والصخب الّذي تفتعله أجهزة الدعاية والإعلام للحيلولة من وصول هذا الصوت الحقّ إلى أسماع الشرفاء في العالم.

اللهمّ وفقنا لأن ندرك ليلة القدر ولا تحرمنا من بركاتها.

اللهمّ حلّ جميع المشاكل والمصاعب الّتي تواجه أبناء الشعب واقض حوائجهم.

اللهمّ زد في أجر وثواب كل الناس الشرفاء والطيبين في بلدنا الّذين جاهدوا وعملوا في سبيلك وتحمّلوا المشاق من أجلك.

اللهمّ نقسم عليك بحقّ أوليائك، وبحقّ الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء كريمة آل محمّد، أن ترزق جميع المضحّين ومعوّقي الحرب الشفاء والصحة.

اللهمّ لا تحرمنا رجاء الاستجابة، وادخل السرور على قلوب جميع المهمومين والمكروبين منّا ومن المسلمين وعلى قلب كلّ مظلوم.

إلهنا نُقسم عليك بمحمّد9 وآل محمّد اشف جميع المرضى وفرّج عن كلّ مكروب واقض حوائج المحتاجين، اللهمّ أزل البغضاء والعداوة من بين المسلمين، وحلّ مشاكل البلدان الإسلاميّة.

إلهنا إنّ قلوبنا تقطر دماً من أجل قضيّة فلسطين والمسلمين المضطهدين في فلسطين، إلهنا إنّ قلوبنا جريحة لما يجري على المسلمين في البوسنة وفي الشيشان هؤلاء المظلومين الّذين لم يسمع العالم لصرخاتهم ولم يساعدهم، ولن يساعدهم أبداً، إلهنا هناك جموع غفيرة من المسلمين في أصقاع العالم، في كشمير، في المناطق العربيّة، في المناطق الأوروبية، في قارة أمريكا وفي مناطق أخرى من العالم يعانون من مصائب وابتلاءات، إلهنا نُقسم عليك بحقّ ليلة القدر وبحقّ شهيد ليلة القدر وبحقّ كلّ مؤمن تستجيب له دعاءه في ليلة القدر، وبحقّ المعصومين(عليهم السلام) فرّج عنهم وانصرهم على أعدائهم.

اللهمّ بلطفك وكرمك استجب لنا دعواتنا هذه، ولا تحرمنا حالة الإنابة والدعاء.

* * *

الخطبة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم محمّد9 وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين سيّما أمير المؤمنين، والصدّيقة الطاهرة سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سبطي الرحمة وإمامي الهدى، وعلي بن الحسين زين العابدين، ومحمّد بن علي الباقر، وجعفر بن محمّد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمّد بن علي الجواد، وعلي بن محمّد الهادي، والحسن بن علي العسكري والحجّة القائم المهدي (عج). حججك على عبادك وأمنائك في بلادك وصلِّ على أئمّة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين. أوصيكم عباد الله بتقوى الله.

في هذه الخطبة أشير بإيجاز إلى موضوع هام، وهو أنّ من مميزات ثورتنا العظيمة إستنادها إلى الشعب، وبالطبع فالمصاعب مهما كانت إنّما تذلل بالإعتماد على الشعب فقط.

والسبب في عدم استطاعة الأعداء لحدّ الآن من النيل من هذه الدولة ومن هذه النهضة إنّما يكمن في كون الشعب هو الدعامة الأساسية والحقيقيّة لهذه الثورة، [وهنا كبّر المصلّون].

أيّها الشعب الإيراني: إنّ الموقف الّذي وقفتموه في الثاني والعشرين من بهمن لهذا العام هو من المواقف العظيمة الّتي أنزلت الضربة القاصمة بالأعداء وأفشلت جميع مؤامراتهم ومخططاتهم الخبيثة.

لقد مضى عام على الثاني والعشرين من بهمن وعلى يوم القدس العالمي للسنة الماضية، وبتحرّككم هذا أفشلتم جميع تخرصات أجهزة الدعاية والإعلام.

إنّ أي نظام إذا فقد التأييد والدعم الشعبي فسيتكبّد خسائر فادحة وسيشكّل ذلك خللاً وفجوة كبيرة في ذلك النظام.

إنّ أكبر خلل يواجهه أي نظام هو عدم وجود الدعم الشعبي له.

واليوم تشاهدون في منطقة الشرق الأوسط ومن بين الدول الّتي تعتبرها أمريكا من الدول الصديقة لها، الكثير لا تمتلك أي رصيد من الدعم الشعبي.

وعلى الصعيد العالمي أيضاً هناك الكثير من الدول وبمختلف الأنظمة هي الأخرى تعاني من هذه الفجوة بينها وبين شعوبها.

وهذا البلد الإسلامي القرآني، الشعبي، سهّد عيون أعدائه؛ ولذلك سعوا دائماً وأبداً من خلال إعلامهم أن يبعدوا الناس عن النظام، وأن يوقعوا بين الشعب وحكومته، ولذلك أخذوا يبثّون الأقاويل بأنّ الشعب لم يعد يدعم النظام.

أيّها الشعب الإيراني: إنّ الحركة الّتي قمتم بها في الثاني والعشرين من بهمن هذا العام كانت بمثابة اختبار كبير للغاية قد سدّدتم من خلاله ضربة عنيفة لهؤلاء المتقوّلين.

[وهنا علا صوت المصلّين بالتكبير وشعار الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل].

وإذا أردت أن أعرب عن شكري وتقديري لكم بإيجاز وبجملة واحدة، أقول: آمل أن يكون قلب الإمام المهدي (عج) راضياً عنكم للعمل الّذي قمتم به إن شاء الله تعالى, وموقفكم هذا جدير بالشكر والتقدير من قبل الإمام المهدي (عج)، وعليكم أن تجعلوا هذا الملاك نصب أعينكم في جميع القضايا.

لو أنّ أحدكم استمع إلى أجهزة الإعلام الأجنبيّة بعد الثاني والعشرين من بهمن، فسيدرك مدى الغضب والحنق الّذي سيطر عليهم, والدليل على ذلك أنّهم كانوا يحاولون تصوير هذه الحركة العظيمة سواءً في طهران أو في بقية المدن الأخرى والّتي يتعسّر وصفها على أنّها كانت صغيرة في حجمها.

وأقول لهم: أيّ ناس تريدون التأثير عليهم بأباطيلكم هذه؟ الناس الّذين رأوا الحقيقة بأم أعينهم؟ تريدون أن تقولوا لهؤلاء الناس أنّه لم يحدث هناك شيء يذكر؟ ماذا عساهم أن يقولوا؟ هل يقولون إنّ التجمع المليوني العظيم لأهالي طهران بلغ عدة عشرات من الألوف أو يقول البعض منهم بأنّه عدة آلاف ليس إلاّ.

عندما شاهدت الحشود العظيمة للشعب، خطر في ذهني أنّه لا يوجد في العالم بلد واحد بوسع دولته أن تحشّد هذا الكمّ الهائل من الناس وتخرج بهم إلى الشوارع مهما طرحت من شعارات.

لا الحكومة الأمريكية تمتلك مثل هذه القدرة العظيمة ولا الدول الأوروبية ولا دول العالم الثالث. ولا أيّ دولة أخرى يمكنها أن تقوم بمثل هذا الإستعراض الجماهيري العظيم.

كما أنّه لا يمكن لأحد أن يدّعي بأنّ هناك من أجبر الناس على الخروج في هذه المسيرات الحاشدة؛ لأنّه في إيران الدولة والشعب من سنخ واحد، فالدولة هي الشعب

والمتصدّون هم الشعب، والحكومة أيضاً بيد الشعب، وبصورة عامّة فإن النظام منبثــق من الشعب، ومن هنا بات من الضروري الحفاظ على هذا النظام.

والنقطة الأخيرة الّتي أودّ الإشارة إليها هي أن الأمريكيين يســعون دائمــاً لإبــراز عضلاتهم ويهدّدون ويتوعّدون الشعوب والدول الّتي تقع في متناول أيديهم علّهم يوفّقون في الضغط على الشعب الإيراني، وأن يضطرّوا دولة إيران إلى الاستسلام، وأن يوهنوا هذه المقاومة الّتي دامت ستة عشر سنة.

أنا بدوري وبحضور هذه الحشود العظيمة الّتي تشترك في صلاة الجمعة بطهــران وكافة أبناء الشعب وبالنيابة عن الشعب الإيراني أقول: يا أعــداء الشــعب الإيرانــي! اعلموا أنّكم لن تُركعوا الشعب الإيراني بهذه السبل والأحابيل ولا بغيرها [كبّر المصلّون وهتفوا هيهات منّا الذلة]. اللهمّ إنّ مثل هذا الحماس والنشــاط لا يمكــن أن يكــون إلاّ بلطفك وفضلك ونظرتك الرحيمة حيث أودعته هذا الشعب العظيم، اللهم فزد في نشــاط وحماس عبادك الصالحون هؤلاء أكثر فأكثر.

إلهنا بحقّ محمّد وآل محمّد ترحّم على شهدائنا في هذه الأيّام وفي ليالي القدر هذه، أُولئك العظام الّذين بذلوا مهجهم ليرقى الشعب الإيراني وإيران إلى هــذا الشــأن مــن العظمة والكمال، واشملهم بفضلك ومغفرتك.

اللهمّ انزل رحمتك وبركاتك على من اختطّ هذه الحركة العظيمة في إيران واخــتطّ مسيرة الشهداء، الإمام الخميني (رضوان الله عليه)، احشــره وشــهداءنا مــع النبــي وأوليائك، واجعل قلوبهم راضية عنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .